المآخذ الشعرية

(تابع ما قبلهُ)

وقال سيار الديلمي في طبيب أعمى

أعمى وأعمى ذا الطبيب يطبهِ ... وبكفهِ الأحياء والبصراء
فاذا نظرتَ رأيتَ من عميانهِ ... أعمى على أعمائهِ مرآء

فاخذ الزاغري المعنى بقولهِ

إعمى الورى بكمالهِ والموتُ من ... أوصافهِ
نكثيرٌ[1] من عميانهِ يقرا على امرائهِ

وقال الامير محمد الحكمي من ابيات

وروضة انسٍ بات فيها ابن ايكةٍ ... يغرّدُ والناي الزخيمُ يشنّفُ
وقد ضمّنا فيها من الليل سابغٌ ... رداهُ باكناف الغمام مسجّفُ
فظلت عرائن الابار يق بالطلى ... الى ان بدت كافورة الصبح ترعفُ

قال الخفاجي في الريحانة «وهذا معنىً تصرّف فيهِ وابدع . وادار منهُ على المسامع كاس ادبٍ مترع . ومن اجاد فيهِ ابن مرج الكحل الاندلسيّ في قولهِ

ولا عجبٌ ان يسلك الصبح عبرتي ... فلم يزل الكافور للدم مسلكا

وقد قلت انا (صاحب الريحانة) في هذا المعنى ايضاً

وساقٍ في السرور غدا طبيباً ... لهُ طرف يشير الى التصابي
رأى في الكاس صبّ دم الحيا ... فذرّ عليهِ كافور الحباب»

انتهى كلام صاحب الريحانة

وقال الشيخ عبد الباقي العمري البغدادي من شعراء القرن التاسع عشر الماضي :

لما رأيتُ الليل يرعف أنفهُ ... من شمّ كافور الصباح بعنبرِ
ارغمتُ مارن مدّعٍ سيئ قولهِ ... «من عادة الكافور إمساك الدمِ»

---

(١) زيد التنوين ضرورة ولو قال : (الحكميّ من ابياته المخلص من هذه الضرورة وافت له القوية

وروى الخفاجي في الريحانة بعد قوله في رثاء والده وخاله من مرثية :

كأن الليالي غالطتني ولم أكن ... أقدر أن اغتر بالدهر واخبر

فقالت اذا أعطيتك الامن عاجلاً ... من الرزء هل ترضى ففلت لها أجل

فجاءت بفقدي للذين احبهم ... وقالت لهذا كنت اعني فلا تسل

لأني لا أخشى مصاباً بعدهما ... فلله ريب الحادثات وما فعل

ثم قال : وهذا معنى مشهور في كلام فصحاء العرب ولكنني تصرفت فيه مع تسمية النوع تصرفاً يعرف حسنه من ذاق حلاوة الأدب . وفي هذا المعنى يقول الصولي :

كنت السواد لمقلتي ... بكي عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت ... فعليك كنت أحاذر

وفي معناه قول الآخر :

فكل ما كنت أخشى قد أصبت به ... فليس من بعدهم من فائت جزع

وقال آخر :

اعتضت باليأس منه صبراً ... واعتدل الحزن والسرور

فلست ارجو ولست أخشى ... ما أحدثت بعده الدهور

فليجهد الدهر كيف شاء ... فما عسى جهده يضير

وقال اشجع :

فما أنا من رزء وان جل جازع ... ولا بسرور بعد موتك فارح

وقال غيره :

لعمري لئن كنا فقدناك سيدا ... يحق لنا طول التحزن والهلع

لقد جرعا نغصاً فقدنا لك أننا ... أمر على كل الورايا من الجزع

واجتمع محمد النشتاني والخفاجي صاحب الريحانة فانشده هذا قول ناصح الدين الأرجاني :

واذا رأيت العبد يهرب ثم لم ... يطلب فموفى العبد منه هاربه

فقال له النشتاني : من اي معنى أخذ هذا ؟ قال الخفاجي : لا أدري . فقال هو من قول المتنبي :

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ... أن لا تفارقهم فالراحلون هم

فأبدأ وأبدع - وأعلم أنه من الأدب يراعى ويسمع - ومنه اخذ القائل :

ليس ارتحالك ترتاد الغنى سفراً ... بل المقام على بؤس هو السفر

والمعنى اخذه من قول الطائي :

وما القفر بالبيد الفضاء بل التي ... تبت بي وفيها ساكنوها هي القفر

واجتمع محمد بن ابرهيم الفامي بالخفاجي هذا ، فأنشده الشامي قوله :

حكيت ابليس خلقاً ... وصورة من غدره

يا سائلي عن العمى ... عندي نصف خبره

فقال له الخفاجي : قد سبقك الى هذا الباخرزي في قوله :

فلا تعجبوا ابليس علمي اخذا ... فاني منه بالفضائح ابصر

وكيف يرى ابليس معشار ما أرى ... وقد فتحت عيناي لي وهو أعور

ومعناه قول الآخر :

رأيت العمى مرة قائلاً ... يا قوم ما اصعب فقد البصر

أجابه أعور من خلقه ... عندي من ذلك نصف الخبر

وقال ابن الرومي :

يا لائمي في الراح غير مقصر ... ما زال ذاك سبتي في الراح

فأقل ما في ترك مثلك شربها ... توفيرها وطهارة الاقداح

فأخذه محمد بن ابرهيم الفامي وقال :

يا تاركاً شرباً لقهوتنا التي ... تجلو صدى القلب الكئيب العاني

في ترك مثلك شربها لي راحة ... توفيرها وطهارة الفنجان

وقال الأرجاني :

أعد نظراً قما في الخد نبت ... حماه الله من ريب المنون

ولكن راق ماء الخد حتى ... أراك خيال اهداب الجفون

وأخذ المعنى محمد بن ابرهيم الفامي فقال :

يا سالب الغصن لين القد والميل ... ومُلبس الشمس ثوب الحزن من خجل

ما شان خدك نبت بل هفا فقرأت ... في سناه خلال الهدب والكحل

وقال الخفاجي في ريحانته : ومما يحسن ايراده هنا قول احمد المعري :

قل للرئيس ابي محمد ارضه قول امرئ ابلاه حسن بلاه
من حول بركتك البهيمة سادة العلماء والفضلاء والرؤساء
لو انصفوك وهم قياء اشبهت اشخاصهم امثالها في الماء

ومنه اخذ الأرجاني قوله :

هذا الزمان على ما فيه من كدر يحكي انقلاب لياليه باهليه
غديرُ ماء تراءى في اسافله خيالُ قومٍ تشوّا في نواحيه
فالرجل تنظر مرفوعاً اسافلها والرأس يُنظر منكوساً أعاليه

وقوله : « على ما فيه من كدر » حشو اللوزينج (١) . اما ترى قول المعري :

واخيلُ كلاءه يُندي في ضمائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

واحسن من هذا كلّه قولي :

خليليّ ذي الدنيا الدنية لا يزل تعادي فتى حرّ شريف المناقب
اسافلها تعلو أعاليها كما يراهُ لبيبٌ عرف بالعواقب
اذا صُوّرت للناس معكوسةً بدت فلا تعجبن والدهر بحر العجائب

انتهى كلام الخفاجي

وقال ابن سنان الخفاجي الحلبي (وهو غير الاول) :

طويتُ اليك الباخلين كأنني مررت الى شمس الضحى في النياهب

فاخذهُ ابو القاسم مادحاً من اجابهُ واجازهُ :

لفظتُ ملوك الارض حين لقيتهُ فكنت كمن شقّ الظلام الى الضحى

وقال الصنوبري :

احمد الله قد الاحت بروقُ منك بالرد لا تزال مبيحه
حسنُ قولٍ وسوء فعلٍ كما سمّى المسيّ في وقت ذبح الذبيحه

فاخذ ابن الوردي منهُ قولهُ :

قد بليتا بامير قال الناس وسيّ

---

(١) حشو اللوزينج كناية عن الكلام الذي يستغنى عنه . وقد صنف الثعالبي كتاباً سماهُ « حشو اللوزينج » يجمع الاقوال التي جاء فيها من ذلك ما لا يحسن ان يستغنى

فهو كحجر رميتَ بذكر الله وبنبيّه

وقال المتنبي:

ولو قلمٌ ألقيتُ في شقّ رأسه من السقم ما غيّرتُ من خطّ كاتبِ

وقال ايضاً:

كفى بجسمي نحولاً انني رجلٌ لولا مخاطبتي إيّاك لم ترني

ومعناهُ قول البحتوري:

ذبتُ حتى ما يستدلّ على انني حيٌّ إلاّ ببعض كلامي

وقول ابن الفارض:

كهلال الشكّ لولا انهُ أنّ عيني عينهُ لم تأبَ

وقال الاعشى:

وكأس شربتُ على لذّةٍ وأخرى تداويتُ منها بها

وقال ابو نواس:

دع عنك لومي فان اللوم اغراء ودواني بالتي كانت هي الداء

وقال عنترة العبسي:

وترى الذباب بها يغنّي سادراً هزجاً كفعل الشارب المترنمِ
ابدتْ يحكّ ذراعهُ بذراعهِ فعل المكبّ على الزناد الاجذمِ

وكان الجاحظ يقول: نظرنا في الشعر القديم والمحدث فوجدنا المعنى يتقلب ويؤخذ بعضهُ من بعض غير قول عنترة في الاوائل واراد قولهُ في هذين البيتين. وقال الحصري: وقد تعلق ابن الرومي بذيل قول عنترة وزاد معنى آخر عليهِ في قولهِ هذا:

وغرّد ربعيُّ الذباب خلالهُ كما حثّت النشوان صهباء معتقِ
فكانت ارانين الذباب هناكمُ على شدوات الطير ضرباً موقّعِ

وتلطّف بعضهم باخذ هذا المعنى وسبكهِ بهذا القالب اذ قال:

فعلُ الاريب اذا خلا بهمومهِ فعل الذباب يرنّ عند فراغهِ
فتراهُ يفرك راحتيهِ ندامةً منهُ ويتبعها بلطم دماغهِ

وقال المتنبي :

يشق الرعب في قلب الاعادي فكأن القتال قبل التلاقي
وتكاد الضبى لما عوّدوها تنتضي نفسها الى الاعناق

وقال ابو العلاء المعرّي :

تكاد سيوفهُ من غير سلٍّ تجدُّ الى رقابهم انسلالا

وقال احد الشعراء :

كم وردةٍ تحكي بسبق الورد طليعةٌ تسرعت عن جندِ
قد خمها في الغصن قرس البَرْدِ فنمّ فم لثلةٍ من بُعْدِ

فاخذهُ محيي الدين ابن تميم بقولهِ :

سبقت اليك من الحدائق وردةٌ وأتتك قبل اوانها تطفيلا
طمعت بثغرك اذ رأتك فبسّمت فهوى اليك كطالبٍ تقبيلا

وقال ابن الوردي لمن لم يعطهِ جائزة على مدحهِ اياهُ :

ان كنتَ من جهل حقي غير معتذرٍ او كنتَ من ردّ مدحي غير متلبِ
فأعطني ثمن الطرس الذي كتبت فيهِ القصيدة او كفّارة الذنبِ

فاخذهُ ابن مليك اخذاً ظاهراً بقولهِ :

مدحتكم طمعاً في ما اوّملهُ فلم انل غير حمل الاثم والتعبِ
ان لم تكن صلة منكم لذي ادبٍ فاجبرة الخطّ او كفّارة الذنبِ

وقال آخر من نوع التفريق البديعي :

من قاس جدواك يوماً بالسحب اخطأ مدحكْ
السحب تعطي وتبكي وانت تعطي وتضحكْ

وقال ابن هند بمعناهُ :

من قاس جدواك بالغمام فما انصف في الحكم بين شيئينِ
انت اذا جدت ضاحك ابداً وهو اذا جاد باكيَ العينِ

وقال المتنبي :

وقد اخذ التمام البدر فيهم واعطاني من السقم المحاقا

فتابعهُ ابو الفتح البيّاع بقولهِ :

وليس من احدى الجوانب نفي فارقتهُ وحييت بعد فراقهِ
يا من يحاكي البدر عند تمامهِ ارحم فتى يحكيهِ عند محاقهِ

وقال المتنبي :

لبسنَ الوشيَ لا متجمّلاتٍ ولكن كي يصنَّ بهِ الجمالا

فأخذهُ الصاحب وقال :

لبسن برود الوشي لا لتجمّلٍ ولكن لصون الحسن بين برُودِ

وقال الشريف الرضيّ :

وبات ببرق ذاك الثغر يوضح لي مواقع اللثم في داجٍ من الظلمِ

فتابعهُ ابو الواه الدمشقي بقولهِ :

يُقمنَ لنا برق الثغور ادلّةً اذا ما ضللنا في ظلام الذوائبِ

وقال بعضهم :

شيئان لو بكت الدماء عليهما عيناي حتى يؤذنا بذهابِ
لم يقضِ المعشار من حقيهما شرخ الشباب وفرقة الاحبابِ

فاخذهُ ابو منصور الطاهري بقولهِ :

شيئان لو ان ليَ بيتلى بهما في غيلهِ مات من همٍ ومن كمدِ
فقد الشباب الذي ما ان لهُ عوضٌ والبعد بالرغم عن اهلٍ وعن بلدِ

وقال ابن الرومي :

وواردٍ فاحمٍ يقبّل محشاهُ اذا اختال مشية عذره

فاخذهُ ابو محمد المطراني وزاد فيهِ وحسّنهُ بقولهِ من قصيدة :

ظباءٌ اعارتها المها حسن مشيها كما قد اعارتها العيونَ الجآذرُ
فمن حسن ذاك المشي جاءت فقيّلت مواطئَ من اقدامهنَّ الضفائرُ

عيسى اسكندر معلوف